الإسلام في الغرب الأفريقي

أ . د عبد ربه سكران إبراهيم/ جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

المقدمة

تستمد أهمية البحث من عدة اعتبارات منها الحضارية كون الإسلام جاء بعقيدة انتشال الإنسان مهما كانت هويته أو جنسه أو لونه من واقعه المؤلم إلى عالم الحرية والرفاه والعمل والعدل، وتاريخيه باعتبار الشرق العربي صاحب أول حضارة إنسانية، فأصبح لامتلاكه العمق التاريخي تنوير البشرية بأهمية ماضي الإنسان وانجازاته التي قدمت للمجتمعات الإنسانية خدمة كبيرة. وجغرافياً لارتباط الأرض الإفريقية بالأرض العربية وتداخلها في بعض أجزاء القارتين الأسيوية والأفريقية وسياسياً أصبح لزاماً على عالمنا الإسلامي الذي عرف أعظم النظم السياسية تأسيس أنظمة سياسية لكل جزء من العالم وبالأخص في أفريقيا التي لولا التعاليم والمفاهيم الإسلامية لما أنارت طرقها ولا عرفت معنى العلم والمعرفة.

والواقع إن أفريقيا عامة والغرب الأفريقي على وجه الخصوص لم يكن يوماً بمعزل عن العالم العربي ، وذلك بفضل المسالك والطرق الصحراوية الممتدة من الشمال إلى الجنوب والتي عملت على زيادة الصلة وسهولة النقل وازدياد الهجرة. وقد لعبت الحركة الإسلامية دوراً مهماً ومؤثراً في ازدياد تلك الصلة منذ انطلاقها من شبه الجزيرة العربية وخروج أبنائها لينشروا إسلامهم وعقيدتهم في القارة الإفريقية.

لقد أسهمت الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا بظهور عدة ممالك إسلامية لعبت دوراً في نشر الإسلام وتعاليمه السمحاء بطرق مختلفة كالمساجد والمدارس الإسلامية وظهور عدد كبير من العلماء الذين كان لهم الدور في نشر الإسلام.

الإسلام في الغرب الأفريقي

أهمية الموقع

تقع القارة الإفريقية عموماً بالنسبة لخطوط العرض بين خطي عرض 21و 35 شمال خط الاستواء عند الرأس الأبيض وخطي عرض 51و 34 جنوب خط الاستواء عند رأس لمولاس إذ يمر خط الاستواء في منتصفها تقريباً . وبين خطي 32و 17 غرب غرتش عند الرأس الأخضر و 23 و 51 شرقاً عند رأس الهفوف (أي الصومال الحالية) [1] .

وقد عدت القارة الإفريقية بسبب موقعها هذا ثاني اكبر قارة في العالم من حيث المساحة إذ تبلغ هذه مع الجزر المحيطة بها حوالي (31 مليون كم) [2] .

أما بالنسبة للمساحة التي تشغلها دول غرب أفريقيا فتقدر بحوالي (5 ملايين كم2) موزعة بين 15 دولة مستقلة تشمل كل من مالي – غانا – غينيا – النيجر – السيرالون – غامبيا – ليبيريا[3] .

والملاحظ انه وبالرغم من كل تلك المساحة الشاسعة للقارة الإفريقية فان المسلمين الفاتحين تمكنوا من نشر الإسلام فيها ورفع رايته بين معظم تلك الدول وذلك باستخدام عدة أساليب.

والمعروف ان القارة الإفريقية عامة، والغرب الأفريقي على وجه الخصوص وخلال المرحلة الأولى للفتوحات الإسلامية لم تشهد زخماً كبيراً في نشر الإسلام إذ ما قورن بمناطق أخرى من العالم [4]، وذلك نتيجة لعدم وجود صلات سابقة بين العرب والأفارقة ولكون الأخيرة كانت تعد من مجاهل العالم آنذاك[5].

لكن ذلك لا يعني عدم اهتمام العرب المسلمين بالقارة الإفريقية عامة والغرب الأفريقي خاصة. بل كان هناك عدد ممن اعتنق الإسلام عمل وجاهد في سبيل نشر الإسلام في ربوع القارة . ومنهم التجار والفاتحين والقوافل المنتقلة والدعاة الصوفيين والدعاة المجهولين إضافة إلى هؤلاء فان الذي ساعد على انتشار الإسلام هو ان الدين الإسلامي ودعاته لم يؤمنوا بنظرية (تفوق الأجناس)، بل العكس من ذلك، فالمسلمين الذين حملوا راية الإسلام اشتركوا وشاركوا مختلف فئات المجتمع الأفريقي واختلطوا معهم وتزوجوا منهم وهذا مما شجع معظم القبائل الإفريقية (الوثنية) منهم بالذات إلى الدخول في الدين الإسلامي[6] حيث تذكر المعلومات التاريخية انه وفي أواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت معظم قبائل أفريقيا الغربية، قد دخلت الإسلام، نخص بالذكر منهم قبائل السنغال والقبائل النوبية [7].

طرق دخول الإسلام

أولا: الهجرات العربية الإسلامية

من المعروف ان الهجرات أو الرحلات العربية الإسلامية بدأت منذ منتصف القرن الأول الهجري، وذلك بعد ان تم فتح مصر، إذ بدأت تلك الرحلات بالانتشار اولاً في بلاد المغرب العربي، ثم أخذت تتجه نحو الجنوب الأفريقي حتى وصلت إلى بحيرة تشاد. ومن هذه الأخيرة وصلت تلك الهجرات إلى الغرب الأفريقي حيث أصبحت البلاد التشادية البوابة الرئيسية للهجرات العربية القادمة من شبة الجزيرة العربية ومصر والتي عملت على نشر الإسلام في غرب أفريقيا[8] .

وكانت الهجرات العربية التي وصلت إلى الغرب الأفريقي قد سلكت عدة طرق للوصول إلى هناك، ومن هذه :

أ.طريق طرابلس الغرب المار بفزان وانتهاء بحيرة تشاد.

ب. طريق يبدأ من مصر باتجاه صحراء اسيوط مروراً بواحات الصحراء الغربية حتى يصل إلى وسط افريقيا[9] .

وكانت معظم القبائل التي سلكت تلك الطرق والمتمثلة بقبائل الشوا وقبائل الصوخت وقبائل بني هلال كانت قد استقرت في شمال نيجيريا غير ان الوجود العربي الإسلامي كان قد ظهر لأول مرة في أفريقيا زمن القائد العربي عقبة بن نافع الذي اتجه في فتوحاته إلى الشمال الأفريقي[10] .

والملاحظ، ان القبائل أعلاه، كانت قد لعبت دوراً مهماً في إضفاء الطابع العربي الإسلامي في المناطق التي دخلها الإسلام. وقد ظهر ذلك جلياً في اللهجات الإفريقية المحلية حيث استخدم هؤلاء مفردات اللغة العربية التي هي لغة القران الكريم في أحاديثهم وتعاملاتهم اليومية[11] ، ان هذا يدل على ان سماحة الدين الإسلامي قد شجع من دخله من القبائل الإفريقية على التمسك بمفردات اللغة العربية وما جاء به القرآن الكريم والإسلام.

والمعروف ان الفتوحات الإسلامية في الشمال الأفريقي كانت قد بدأت منذ القرن الأول الهجري زمن عمر بن العاص الذي أناط تلك المهمة إلى القائد العربي عقبة بن نافع الذي قام ببناء مدينة القيروان التي أصبحت منارة للمسلمين في تلك المنطقة . وعند عودته إلى مصر كان القائد عقبة قد ترك جالية عربية إسلامية في القيروان ولم يكتف عقبة بن نافع بذلك بل واصل فتوحاته في الغرب الأفريقي زمن الخليفة يزيد بن معاوية وأثناء فتوحاته تصادف مع إحدى القبائل الإفريقية الكبيرة وهي قبيلة صنهاجه وتمكن من إقناعها بالدخول في الإسلام. وقد نجح في ذلك[12] .

ان دخول تلك القبائل إلى حظيرة الإسلام كانت من العوامل التي ساهمت في انتشار الإسلام في الغرب الأفريقي في القرن الثالث الهجري وكان لقبائل الطوارق الباع الطويل في ذلك. ثم توالت الفتوحات الإسلامية على يد المرابطين والموحدين[13].

يضاف إلى هؤلاء فان هناك طائفة من الدعاة أصحاب الطرق الصوفية الذي أسهموا بشكل كبير في نشر الإسلام بين القبائل في الغرب الأفريقي ، كما شجعوا القبائل حديثي العهد بالإسلام التمسك بالشعائر الإسلامية والجهاد في سبيل الإسلام. وقد لعبت هذه القبائل دوراً مهماً ايضاً في رفع راية الإسلام بين القبائل الوثنية في الغرب الأفريقي . ومن أشهر الطرق الصوفية هي الطريقة التيجانية والتي تنسب إلى الشيخ احمد بن محمد بن سالم التيجاني (1737م) والتي تمكن احد مريديه المدعو عمر القوتي من نشرها في السنغال وغينيا وكان من ابرز شيوخها في السنغال هو عبد الرحمن باع الذي كان يشغل منصب الشؤون الدينية[14] .

وهناك طريقة صوفية أخرى يطلق عليها السنوسية والتي تنسب للشيخ محمد بن علي السنوسي الذي ولد عام 1793 وقد بدأ نشر هذه الطريقة اولاً في ليبيا حيث تمكنوا بواسطتها من تأسيس الدولة السنوسية في ليبيا وكانت أهم أعمالها هو فتح المدارس الدينية خاصة غرب بحيرة تشاد وكان هدفها هو تعليم العبيد الشريعة الإسلامية .

ولم يقتصر نشر الإسلام في الغرب الأفريقي على هذه الطرق المعروفة، بل هناك من يطلق عليهم الدعاة المجهولين وكان هؤلاء يتطلعون إلى نشر الإسلام وينفقون من أموالهم الخاصة حيث كانوا يعتبرونه ذلك جهاداً في سبيل الله . وقد وجدت مخطوطة لدى احد الأشخاص تؤكد ان الذي نشر الإسلام في الغرب الأفريقي داعية من ذرية بلال بن رباح مؤذن رسول الله (ص) [15].

ان انتشار الإسلام في الغرب الأفريقي، قد ساعد على توطيد العلاقات بين دول غرب أفريقيا وبين الدول العربية الإفريقية كمصر وليبيا وتونس والجزائر وبسبب تلك العلاقات فقد أصبح للعرب مكانة مرموقة في المجتمع الأفريقي فمثلاً كانت مصر مرتبطة بعلاقات قوية ومنذ العصر العباسي مع سلاطين غرب أفريقيا . وكان هؤلاء يسعون لنيل بعض الامتيازات في مصر لتطورها اولاً وموقعها الجغرافي على طرق المواصلات المؤدية إلى الأماكن المقدسة ثانياً ولأهمية الجامع الأزهر الذي كان مقصد لجميع الطلاب المسلمين من العرب والأفارقة ثالثاً[16] وكان المذهب المالكي هو الذي انتشر في تلك الأجزاء بوساطة مصر. ونتيجة لأهمية الأخير فان سلاطين غرب أفريقيا أمثال (إدريس الوما) (ومنسي موسى) وغيرهم من سلاطين أفريقيا الغربية، أقاموا علاقات ودية مع حكام مصر[17].

الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا

على الرغم من اختلاف المصادر التاريخية عن تاريخ وصول وانتشار الإسلام في الغرب الأفريقي ما بين القرن السابع الميلادي والقرن التاسع الميلادي والقرن الحادي عشر الميلادي، فالمرجح ان يكون القرن السابع هو الأصح. فان الإسلام وبعد سلسلة الفتوحات التي قام بها قادة الفتح الإسلامي، فان الإسلام تمكن من تثبيت أركانه وقواعده، وبدأ بالانتشار على نطاق واسع في معظم الغرب الأفريقي. ونتيجة لذلك الاستقرار بدأت العلوم الإسلامية تشق طريقها في الغرب الأفريقي وأصبح سكانه أهل مودة وعلم وشهد لهم بالذكاء[18].

وكان من الطبيعي ونتيجة للتواجد الإسلامي ان تقام عدد من المراكز العلمية والرباطات في الغرب الأفريقي . وقد لعبت الأخيرة دوراً هاماً في نشر الإسلام فالرباط هو مدرسة تلقى فيها العلوم ومعهد لصناعة الورق والحبر ونسخ المصاحف الشريفة، وكتب الأحاديث والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية[19]، وكان للعلماء والفقهاء الذين هاجروا إلى الغرب الأفريقي الدور الفاعل في تطور تلك المراكز كما كانت المحرك لتنشيط الصلات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الغرب الأفريقي والعالم العربي الإسلامي. بحيث أصبحت بعض مراكز العلمية ذو شهرة عالمية مثل تمبكتو في دولة مالي [20].

والواقع ان تلك الراباطات كانت بمثابة مراكز إشعاع للعلوم الإسلامية، إذ لعبت دوراً مهماً في تنفيذ وتعليم أبناء الأفارقة لذلك أصبح لها أهمية كبيرة، ونتيجة لذلك فقد انشاة نوعين من تلك الراباطات الأولى ساحلية والأخرى صحراوية في أعماق الصحارى، وذلك لان المسافرين كانوا يسلكون تلك الطرق فأصبح لزاماً تهيأة مثل تلك الأماكن[21].

لقد تطورت أنظمة الرباطات بفضل الجهود التي بذلها شيوخ الطرق الصوفية ورجال الدين الإسلامي في مختلف المناطق الإفريقية التي وصلها الإسلام فقد أدخلت عليها الكثير من التحسينات في شكل البناء المكون للرباط، كما

أجريت تعديلات على هيكلية النظام التعليمي الذي كان سائداً فيه. وكان أشهر تلك الرباطات هو الذي بنى في السنغال، إذ أصبح من المراكز المهمة لاستقطاب طلبة العلم آنذاك حتى يقال ان عددهم تجاوز الألف طالب، وهذا يدل على أهمية تلك الأماكن والتي هدفت إلى نشر الإسلام وثقافته في الغرب الأفريقي[22].

ومما لا شك ان التواجد العربي الإسلامي في هذه المناطق قد ساعد كثيراً انتشار اللغة العربية، فأصبحت اللغة الرسمية ولغة التدريس والوعظ والإرشاد.

وتذكر المعلومات التاريخية ان القلقشندي قد أشار في كتابه (صبح الاعشى) إلى وجود رسائل لبعض الملوك مدونة باللغة العربية وهذا يعني ان الأخيرة قد ساعدت على تنشيط الحركة الفكرية، إذ لم يكن لأفريقيا قديماً تاريخاً مدوناً بل كان يعتمد على الروايات الشفوية التي تتناقلها الأجيال[23].

والواقع ان تطور الحركة الفكرية في الغرب الأفريقي كان عاملاً مهماً في ظهور عدد من المراكز الحضارية ذات الطابع العربي الإسلامي والتي هي الأخرى أسهمت في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ومن هذه المراكز هي:

أ- اورغست

وهي إحدى مدن غانا الشمالية تقع على نهر النيجر الأعلى، وكانت حلقة الوصل بين العناصر البربرية العربية والسودانية. وقد ساهمت في نشر الإسلام وحضارته . وهي إضافة إلى ذلك تعد مركزاً تجارياً تلتقي فيه القوافل العابرة للصحراء من الجهة الشمالية[24] وهي لذلك كانت عامرة بالأسواق التجارية لوفرة مياهها وتسامح سكانها مع من يوفد إليها من القبائل حتى ان اورغست إقامة علاقات ودية غانا[25].

ب- تمبكتو

تعد من أهم مراكز الحضارية الإسلامية في الغرب الأفريقي، فهي تقع عند الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى المعروفة بـ (منحنى النيجر) والتي أسسها قبائل الطوارق في القرن الخامس الهجري الموافق القرن الحادي عشر الميلادي[26] .

أما بشأن اسم تمبكتو فهناك أكثر من رأي ورواية عن ذلك منها ان رجال الطوارق كانت لهم رحلتين في العام الواحد فعند موسم الأمطار كانوا يقيمون في منطقة يطلق عليها الازوار. وعندما يكف المطر يعودون إلى نهر النيجر وأثناء ترحالهم في تلك المناطق اكتشفوا مكان مناسب لتخزين الحبوب وهي مصدر معيشتهم بدلا من حملها معهم، والعودة بها مرة أخرى، مما قد يسبب لهم الكثير من المتاعب، وكان يقيم في ذلك المكان عدد قليل من القبائل ومن ضمنهم امرأة امينة تسمى (بكتو) فيتركون أمتعتهم في حراستها وبمرور الزمن وبعد تحريف للاسم تغير إلى تمبكتو وقد أطلق ذلك تخليداً لتلك المرأة المضيافة[27] أما الرأي الثاني فيذكر ان الاسم الحقيقي الأول لها كان بئر بكتو حيث ان المدينة تأسست حول هذا البئر وازدهرت معالمها نتيجة لوفرة مياه ذلك البئر وايضاً حصل تحريف بسيط في الاسم فأصبحت تعرف بـ (تمبكتو) [28] .

ونتيجة لموقعها فإنها ازدهرت حيث شيد فيها مسجد كبير وقصر يسكنه أميرها وكانت تلك البنايات من تصميم مهندس اندلسي من مدينة المانا الاسبانية. وقد برزت جماعات من التجار الأثرياء امتلكوا القدرة الاقتصادية القوية حيث كانوا يعيشون حياة الترف[29].

ومن الناحية التاريخية فان تمبكتو كغيرها من المدن تعرضت لعدة هجمات منها قيام السنغال بالاستيلاء عليها عام 1326 إلا ان دولة مالي وفي عهد ملكها منس موسى تمكنت في عام 1326 من استردادها من أيدي السنغاليين وقد عمل الملك منس موسى على تطوير وازدهار تمبكتو، فقد أصبحت في عهده مركزاً دينياً وتجارياً. كما استقدم العلماء من المغرب والأندلس ومصر الذي عملوا على إنعاش الحركة العلمية، حيث عاش العلماء في امن وامان مع رفاه اقتصادي أسهم في زيادة الحركة التجارية والتبادل بين دولة مالي والدول المجاورة [30].

والملاحظ هنا، هو انه في الوقت الذي كانت تمبكتو تعج بالعلماء والدراسات الإسلامية كانت حروب المائة عام تخرب أوروبا وتدمرها وهذا ان يدل على شيء فإنما يدل على ان العلم والثقافة هي سمة العرب المسلمين، وليس كما يقول الأوروبيون بان العرب ما زالوا في طور البداوة ومتخلفين عن ركب الحضارة العالمية.

وهكذا أصبحت تمبكتو وطوال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من مراكز الثقافة العالمية حيث امتدت نهضتها إلى مناطق واسعة من أفريقيا الإسلامية [31] وكان ما يميز تمبكتو الفن المعماري الذي مزج بين الطابع الإسلامي العربي والأفريقي. وكان جامع سيدي يحيى مثال على ذلك . وكان هذا احد علماء تمبكتو الذي جمع حوله تلامذه اشتهروا بالتدين والفقه والثقافة الاسلامية [32] ومن ابرز هؤلاء هم احمد بابا الذي تولى التدريس في جامع سذكري والفقيه الحاج القاضي عبد الرحمن بن ابي بكر الذي قيل عنه انه أول من أمر الناس بقراءة نصف القران الكريم في الجامع المذكور بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء [33].

ج- جاو:

وهي إحدى المدن الإفريقية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر والتي كانت ملتقى لشبكة الطرق الواصلة والرابطة بين شمالي أفريقيا وغربها، وقد لعبت دوراً مهماً في التجارة بين تلك الطرق. ولأهمية موقعها فان سلطان دولة مالي منس موسى قد أخضعها لسلطانه عام 1325 ، وذلك أثناء عودته من أداء مناسك الحج. وقد أمر السلطان ببناء مسجد فيها. وقد تم ذلك بإشراف احد المهندسين الذي يدعى (الساحلي وكان السلطان قد تعرف عليه في الديار المقدسة فاصطحبه معه) وكان أهم ما ميز المسجد هي المأذنة ذات الشكل الهرمي. وقد كان هذا أول صرح اسلامي في دولة مالي على ذلك الطراز [34].

ولقد وصفت جاو من قبل الرحالة الذين زاروها، بأنها مدينة متميزة ذات شأن كبير في الغرب الأفريقي. بينما وصفوا تمبكتو بالمدينة فقط دون التطرق إلى معالمها. وقد اورد هؤلاء الرحالة في القرن السابع عشر الميلادي، بان عدد سكانها تجاوز 175 الف نسمة ، وعدد مساكنها يزيد عن 7600 منزل. وكانت القوافل القادمة من الشرق تأتي إليها قبل مرورها بـ تمبكتو. وقد منحها هذا الموقع مكانة كبيرة في الغرب الأفريقي حتى أصبحت قبلة للزوار والعلماء الذين أسهموا في نشر الثقافة والمعرفة في ذلك الجزء من أفريقيا [35].

ممالك إسلامية في الغرب الأفريقي

بعد دخول الإسلام إلى الغرب الأفريقي، اتضح أثره وبشكل كبير على عقليتهم وأفكارهم الاجتماعية وتركيبتهم السياسية القائمة آنذاك فكان من نتيجة ذلك ان أدى إلى قيام عدد من الممالك الإسلامية ما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، كمملكة غانا جنوب موريتانيا ومملكة المرابطين ومملكة مالي التي كانت لها علاقة وطيدة مع مصر زمن الدولة الفاطمية [36].

مملكة مالي

كان دخول الإسلام إلى دولة مالي قد تم عبر الطرق الصحراوية الواقعة شمال القارة الإفريقية. وكان حملة راية الإسلام في هذه المناطق من التجار العرب والدعاة المسلمين الذين تمكنوا من إقامة أنظمة حكم في أجزاء البلاد المختلفة، والتي كانت الطريق الممهد لقيام مملكة إسلامية فيها [37].

وتعد مجموعة قبائل الماندنجو بزعامة (سنديانا 1484 –1501 م) الذي لقب باللغة المحلية لدولة مالي باسم (ماري جاطة) [38]، هم من اسسوا دولة مالي الإسلامية والتي تمكنت من فرض سلطانها على مناطق واسعة امتدت ما بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي [39].

وكان من الطبيعي ان يواجه الملك (ماري جاطة) مقاومة ومعارضة من اعداءه، مما اضطره إلى الدخول في معارك عدة، خاصة مع السعدنيين في مراكش [40]، حيث تمكن من تحقيق الانتصار عليهم. وكان سبب انتصاراته تلك هو قيامه بقيادة جيشه بنفسه، حتى تمكن من الوصول إلى غانا والسنغال وغامبيا. ولكي يثبت أركان الإسلام في تلك الأنحاء ، فقد كان يبني مسجداً في كل ارض وطأت قدماه عليها. فامتدت حدود دولته ما بين جبال الأطلس والمحيط الأطلسي حتى الصحراء الكبرى [41].

ان اتساع رقعة هذه المملكة قد أدى ان يتولى الحكم عليها اثنان وعشرون ملكاً من الجنسين الأبيض والاسود وكان كل منهم يحمل لقب (منسي) وأشهر هؤلاء كان (منسي موسى) حفيد (ماري جاطه) الذي شهد عصره ازدهاراً وتحضراً. فقد شيد العديد من المساجد والمدارس، إضافة إلى ما كان موجوداً منها قبله. حتى أصبحت تلك الأماكن مزدحمة بالأساتذة وطلاب العلم. كما ازدهرت الحركة التجارية والعلمية بين مملكة مالي والدول المحيطة بها، حتى ان طلاب من مملكة مالي رحلوا إلى الجامعات التونسية والمصرية للدراسة فيها [42].

والواقع كان للغة العربية أثرها فيما شهدته مملكة مالي من تطور. فقد كان مسجد (تمبكتو) الذي اشتهر بجامعة (ستذكري) من أهم المدارس فيها لتعليم القرآن الكريم وأصول اللغة العربية، حتى ان الرحالة (بن بطوطة) الذي زار المملكة وصف ذلك المسجد في عهد الملك (منسي موسى)، بأنه كان رائعاً يتوافد عليه طلبة العلم للاستزادة من علماءه [43] ، وهذا يعني ان الإسلام حمل معه المدنية والتحضر والعلم إلى تلك القبائل الغير متحضرة وأمدها بالنشاط والحيوية العزة والاعتماد على النفس واحترام الذات الإنسانية التي دعا إليها سبحانه وتعالى في حكم آياته الكريمة والتي تحث على إقدام الإنسان [44].

مملكة غانا

تعد هذه المملكة من أقدم الممالك التي عرفتها مناطق غرب أفريقيا. إذ امتدت حدودها ما بين نهر النيجر شرقاً حتى السنغال جنوباً، والى الشمال من اقطار الصحراء الكبرى. وقد بلغت هذه المملكة ذروة قوتها في حدود القرن الحادي عشر الميلادي، حتى أصبحت عاصمتها (كومي صالح) ملتقى النشاط التجاري لمعظم دول غرب أفريقيا [45] وتذكر بعض المصادر التاريخية عن فترة دخول الإسلام إليها، انه كان في القرن الحادي عشر الميلادي عندما اعتنق احد ملوك غانا الإسلام. وليس كما ورد بان المرابطين هم أول من ادخل الإسلام إليها [46].

وقد وجد في غانا اثنا عشر مسجداً. وترتبط هذه المعلومة برواية فتح القائد العربي عقبة بن نافع لغانا عام (55 هـ) حين دخلها وفتح بلاد التكرور وغانا، ومن ثم حمل المرابطون على الإسلام متمثلاً بشخصيات لعبت دوراً في ذلك أمثال عبدالله بن ياسين وأبو بكر الملتوني [47].

ومن هذا نستشف بان دخول الإسلام إلى مملكة غانا كان على يد الفاتح العربي عقبة بن نافع زمن الخليفة يزيد بن معاوية. وقد وصفت المملكة بأنها تمتد من نيجيريا وحدود الصحراء الكبرى والغابات الاستوائية والمحيط الأطلسي، وإنها كانت مقسمة إلى جزئيين وهما 1) الحي الوثني 2) الحي الإسلامي .

ففي الحي الإسلامي شيد اثنا عشر مسجداً تقام صلاة الجمعة في أكبرها، إذ يوجد في كل مسجد أمام ومؤذن وقارئ للقران الكريم ومعلم. أما الحي الوثني فيقع قرب القصر الملكي . ورغم كونه وثني إلا انه يوجد فيه مسجداً يصلي فيه المسلمين من حاشية الملك [48] .

لقد ساعدت التجارة التي تميزت بها غانا، لا سيما تجارة الذهب التي تشتهر بها غانا، على توافد العديد من التجار العرب والبربر للتجارة وتباد السلع مما افسح المجال أمام نشر العقيدة الإسلامية بين السكان، وذلك لما شاهدوه ولمسوه من سماحة هذا الدين وحسن تعامل المسلمين مع التجار وغيرهم [49] .

مملكة غينيا

كان انتشار الإسلام في غينيا قد بدأ في حدود القرن الأول الهجري، وذلك عندما بدأت الفتوحات الإسلامية في أفريقيا . وكانت غينيا قد خضعت لذلك زمن القائد العربي عقبة بن نافع. وقد ذكر الرحالة الألماني (هنزشن بارن) [50] بأنه توجد جالية عربية منذ سنة (60 هـ) . وقد أدى دخول القائد عقبة إلى غينيا إلى ادعاء هؤلاء بالانتساب إليه، إذ انتشرت المساجد والثقافة واللغة العربية والأفكار الإسلامية. وكان لوجود تلك الجاليات سبب في ان تجد تلك الأفكار طريقها إلى غينيا في وقت مبكر من الزمن [51].

والملاحظ انه كان لمملكة غينيا عدة مسميات منها ما كان يطلقه التجار إلا فارقة عليها وهي (كتاوه)، وما كان يطلقه عامة الناس وهي (حبني) ومن الاقتصادية فان غينيا تعتبر من الدول الفقيرة والتي لا تنبت فيها أشجار مثمرة وذلك لكونها مناطق جرداء . لكنها من ناحية أخرى تعد مركزاً لمناجم الذهب والحديد وكانت غينيا تؤلف جزءً من

دولة غانا الإسلامية وعندما سقطت هذه المملكة على يد شعب الماندنجو (مالي) ظهرت دولة السنغال على انقاضها لأنها كانت جزء من تلك الممالك [52].

ومما تجدر الإشارة إليه هو انه كان لظهور حركة المرابطين دوراً مهماً في نشر الإسلام في تلك الانحاء . إضافة إلى ذلك فقد ظهرت حركة إسلامية أخرى على يد قيادي مسلم يدعى (كاروكو) استطاع هذا ان يبعث من جديد النهضة الإسلامية والتي انتشرت بين أبناء معظم القبائل الإفريقية، وهذا ما أدى إلى انتشار اللغة العربية باعتبارها لغة القران الكريم. وهذا دفع بالعديد من السكان على الاقبال لحفظ القران الكريم، حيث شيدت المساجد الإسلامية والتي لعبت دوراً مهماً في ظهور العديد من العلماء وأهل الفتوى [53].

مملكة النيجر

كان التجار المتجهين نحو الغرب الأفريقي، والقادمين من مصر وليبيا والى بحيرة تشاد، كانوا يمرون بمدينة (اغاديس) النيجرية أما للمتاجرة أو للاستزادة مما كان متوفراً بها. ومن نتيجة اتصال هؤلاء التجار الوافدين من الشرق الإسلامي بسكان هذه المدينة، بدأ الإسلام بانتشار بين السكان ولكن بشكل بطيء. ومما ساعد على ذلك الانتشار هو قيام دولة مالي الإسلامية في الغرب الأفريقي[54].

يضاف إلى تلك القوة الإسلامية، هو ظهور إمبراطور السنغالي (اسكيا محمد) في القرن السادس عشر الميلادي وسيطرته على تلك المناطق، ساعد في انتشار الإسلام بشكل كبير حتى انه استولى على مدينة اغاديس لتكون قاعدة ومركزاً لنشر الإسلام[55].

لقد أدى انتشار الإسلام في النيجر إلى ظهور ثقافة ذات طابع حضاري إسلامي، والى نهضة إسلامية زاهرة مزجت الدم العربي الإسلامي بالدم الأفريقي، مما أدى إلى ظهور طبقة من العلماء والفقهاء لعبوا دوراً مهماً في نشر الإسلام اولاً والى القضاء على الكثير من البدع والخرافات التي كانت سائدة في ذلك المجتمع[56].

مملكة السيراليون

لم تكن السيراليون بعيدة عن اثر الإسلام، ففي القرنين الخامس والسادس الهجريين ، بدأت طلائع الدعاة المسلمين تجوب تلك الانحاء ساعين لتحقيق الهدف الإسلامي، حيث تمكنوا من كسب العديد من السكان لتقبل الدين الإسلامي ومبادئه. ومما زاد في انتشار الإسلام هو خضوع السيراليون إلى حكم مالي الإسلامية في حدود القرن السابع الهجري[57].

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على انتشار الإسلام في السيراليون هو توافد التجار إليها من موريتانيا والسنغال وغينيا ونيجيريا ، وتعامل هؤلاء التجاري بالحسنى مع السكان، شجع على اعتناق الإسلام، وبالوقت نفسه استوطن عدد كبير من التجار بمختلف المناطق من السيراليون واختلاطهم بالسكان الاصليين، زاد من تقبل هؤلاء الافارقة للدين الإسلامي حتى وصلت نسبة المسلمين فيها درجات عالية[58].

ونتيجة لذلك الانتشار فان السيراليون شهدت نهضة حضارية إسلامية، دفعت بالعديد من السكان إلى ارسال ابنائهم إلى المساجد لتعليمهم اللغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية في التعاملات والمراسلات والتجارة. وحفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الإسلامية ، وقد شجعت تلك الحركة قيام الأمراء والحكام بأداء فريضة الحج. وهذا ما دفع بشعب السيراليون إلى المساهمة في نشر الإسلام إلى الجهات التي لم يصلها[59].

مملكة غامبيا

لعبت قبيلة صنهاجة المغربية دوراً مهماً في نشر الإسلام في هذه البلاد، ساعدها في ذلك عوامل عدة، منها الدعاة المسلمين والتجار ومساندة دولة الإدارسة لهم في القرن الثالث الهجري والمرابطين في القرن الخامس الهجري، حتى بلغت نسبة المسلمين فيها ما يقارب 75% وهذه نسبة كبيرة إذا ما قورنت بسواها من دول غرب افريقيا[60].

وكان من نتيجة انتشار الإسلام الواسع في هذه البلاد، ان ظهرت جماعات إسلامية اشرفت على شؤون العديد من المساجد والمدارس الإسلامية. وهذا ما أدى إلى تغيير الكثير من الأفكار والمفاهيم التي كانت سائدة في المجتمع الأفريقي في غامبيا، وحلت مكانها القيم والمبادئ والاخلاق الإسلامية التي ساهمت في تطور المجتمعات الإفريقية في عموم القارة[61].

الخاتمة

يتضح لنا من خلال البحث ان القارة الإفريقية، وبشكل خاص في جزئها الغربي والتي كانت تعد من المناطق المجهولة في العالم آنذاك . لكن التاريخ الفعلي لها لم يبدأ إلا بوصول الإسلام إلى تلك الأراضي والذي ظهر جلياً بقيام عدد من الممالك الإسلامية في الغرب الأفريقي.

ومن نتيجة تأثر سكان الغرب الأفريقي بالإسلام فقد ظهرت حضارة إسلامية راقية ومتطورة لا تختلف عن المراكز الحضارية المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي . وهذا يدل على وحدة الامة الإسلامية في تطلعاتها وأهدافها.

يضاف إلى ذلك ، فان تطور الحياة العلمية والثقافية والعقلية في هذا الجزء من القارة الإفريقية كان بتاثير العقيدة الإسلامية على افكار سكان القارة.

ولقد لعبت اللغة العربية باعتبارها لغة القران الكريم ولغة التفسير والفقه والحديث دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية. وكان من الطبيعي ان تطبع المنطقة بالطابع الإسلامي الذي ترك بصماته وبشكل قوي ومؤثر في الغرب الأفريقي.

هوامش البحث

(1) انور بعد الغني العقاد، الوجيز في اقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983، ص13 .

(2) جودة حسين جودة، جغرافية أفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص27.

(3) إبراهيم احمد سعيد، إفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافية الاقليمية، القاهرة، 1993، ص127.

(4) عبد الله عبد الرزاق وآخرون، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار النهضة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص24 .
(5) محمد عبد القادر احمد، المسلمون في العالم ، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1986، ص145.
(6) الصادق االفيهوم، سيرة الحضارة، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1983، ص112.
(7) محمد متولي، أفريقيا والعلاقات الدولية، دار الثقافة للنشر والطباعة، القاهرة، 1975، ص15.
(8) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الاسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة، ص ص 15 – 19.
(9) عماد الدين غانم وآخرون، انتشار الإسلام في العالم، طرابلس، 1993، ص88.
(10) عبد الفتاخ الغنيمي، المصدر السابق، ص31.
(11) نفس المصدر، ص 21.
(12) محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 22– 23.
(13) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص22.
(14) احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6 ، القاهرة 1965 ، ص ص 213 –214.
(15) محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 32 –33 .
(16) احمد شلبي، المصدر السابق، ص 217 .
(17) زاهر رياض، مصر وافريقيا، القاهرة، 1976، ص105.
(18) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص ص 64– 65.
(19) محمد متولي وآخرون، المصدر السابق، ص 20.
(20) زاهر رياض، المصدر السابق، ص 91.
(21) محمد متولي وآخرون، المصدر السابق، ص138.
(22) محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص37.
(23) نقلاً عن عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص ص 137 –138.
(24) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، 1987، ص317.
(25) زاهر رياض ، المصدر السابق، ص84.
(26) احمد شلبي، المصدر السابق، ص195.
(27) محمد عبدالرحمن سواليمه، تمبكتو جوهرة تغمرها الرمال ، لبنان، 1986، ص15.
(28) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص138.
(29) الحسن بن محمد الوزان، وصف أفريقيا، ج1، بيروت، 1983، ص165.
(30) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص139.
(31) محمد متولي وآخرون، المصدر السابق، ص20.
(32) محمد عبد الرحمن سواليمه، المصدر السابق، ص15.
(33) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص140.
(34) بالوفرناندز، نظام تجارة ومكة وجاو كاكاركوكيا، مجلة البحوث التاريخية، جامعة برمنجهام، يناير، 1981، السنة الثالثة، ص40.
(35) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص ص 145 –146.

(36) محمد متولي وآخرون، المصدر السابق، ص 24.
(37) عبدالله بشير الطرازي، انتشار الإسلام في العالم، جدة، 1985، ط1، ص137 .
(38) ماري تعني الامير، وجاطه تعني الأسد. راجع حسين مؤنس، المصدر السابق، ص373.
(39) إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، القاهرة، 1973، ص31.
(40) إسماعيل احمد ياغي وآخرون، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض، 1983، جـ2، ص214.
(41) احمد شلبي، المصدر السابق، ص244.
(42) الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 39 –40 .
(43) ابن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، القاهرة، 1983، ط1، ص302.
(44) نوال عبد العزيز المهدي، العرب وافريقيا، القاهرة، 1989، ص21.
(45) عبدالله المسماري، محاضرات في تاريخ أفريقيا المعاصر، طرابلس، 1997، ص102.
(46) إبراهيم علي فرحان، المصدر السابق، ص48.
(47) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص83.
(48) محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص36.
(49) احمد شلبي، المصدر السابق، ص540 .
(50) رحالة الماني ذكر هذه المعلومة في كتابه (رحلات في وسط وشمال أفريقيا وغربها) نقلاً عن : محمد بن ناصر العبودي، أفريقيا الخضراء، بيروت، 1968، ص103.
(51) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص270 .
(52) الحسن بن الوزان، المصدر السابق، ص223.
(53) احمد شلبي، المصدر السابق، ص543 .
(54) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص223.
(55) احمد شلبي، المصدر السابق، ص566
(56) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص301.
(57) عبدالله مبشر الطرازي، الإسلام في العالم، جدة، 1985، ص207.
(58) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص229.
(59) يوسف احمد، الإسلام في الحبشة، القاهرة ، 1953، ص118.
(60) عبد الفتاح الغنيمي، المصدر السابق، ص249.
(61) عبدالله الطرازي، المصدر السابق، ص197.